

الإيمان بالله واليوم الآخر
تذكير المؤمنين ودعوة الكافرين

إعداد موقع دار الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن المطالع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرى كثيراً من نصوصهما تجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وتنصُّ على أنهما ركنان أصيلان للإيمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وتُرتَّب عليهما ترغيباً في بعض الأعمال، وترهيباً في بعضها الآخر. وذلك في مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: 62]، وقوله سبحانه: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 126]، وقوله عز وجل: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18]، وقوله جل جلاله: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: 22].

وفي مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر» (رواه البخاري: 4777، ومسلم: 9، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (رواه البخاري: 6018، ومسلم: 47، من حديث أبي هريرة).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر» (رواه مسلم: 76، من حديث أبي هريرة).

وحرصاً من موقع دار الإسلام على هذا الموضوع المهم ليستفاد منه تذكير المؤمنين، ودعوة الكافرين فقد تم إعداد هذا البحث المختصر الذي يحتوي على العناصر الآتية:

أولاً: أهمية الإيمان بالله تعالى.

ثانياً: ما هو الإيمان بالله؟

ثالثاً: معرفة الله وبيان عظمته.

رابعاً: أسماء الله وصفاته.

خامساً: توحيد الله واستحقاقه وحده للعبادة.

سادساً: ثمرات الإيمان بالله تعالى.

سابعاً: أهمية الإيمان باليوم الآخر.

ثامناً: التعريف باليوم الآخر.

تاسعاً: أدلة البعث.

عاشراً: ما يشتمل عليه هذا اليوم من وقائع وأحداث.

حادي عشر: الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

ثاني عشر: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

ونسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.

أولاً: أهمية الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله هو الأصل الأول والأهم من أصول العقيدة الإسلامية، وعليه مدار الإسلام، وهو لبُّ القرآن؛ فالقرآن كله حديث عن هذا الإيمان؛ لأن القرآن إما حديث مباشر عن الله تعالى: ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وترك ما يُعبد من دونه من آله باطلة، وهذا

كله تعريف بالله، ودعوة للقيام بحقّه، ونهي عن صرف ذلك لغيره.

وإما أمر بطاعته سبحانه، ونهي عن معصيته، وهذا من لوازم الإيمان.

وإما إخبار عن أهل الإيمان، وما فعل الله بهم في الدنيا من الكرامة، وما يُثيبهم به في

الآخرة من النعيم المقيم، وهذا جزاء أهل الإيمان بالله.

وإما إخبار عن الكافرين، وما فعل الله بهم في الدنيا من النكال، وما سيفعل بهم في

الآخرة من العذاب في الجحيم، وهذا جزاء من أعرض عن الإيمان.

فالقرآن كله حديث عن الإيمان بالله تعالى .

والإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح؛ ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقاً مربوباً، رجع في علمه وعمله إلى خالقه وباريه؛ فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين فسادة وهلاكه.

والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له، والتي خُلق من أجلها، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك، قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: 25].

ونستطيع أن نقول: إن الإيمان بالله تعالى بالنسبة لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسيقان والفروع، فهو أصل الأصول، وقاعدة الدين، وكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيمًا كان حظه في الإسلام كبيرًا.

ثانيًا: ما هو الإيمان بالله؟

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو ربُّ كلِّ شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه المتصرِّف في هذا الكون كِله كيف يشاء، وأنه المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال، المنزّه عن كل عيب ونقص، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأنه المستحق لأن يُفرد بالعبادة دون ما سواه.

ثالثًا: معرفة الله وبيان عظمتة:

الله عز وجل هو خالقك أيها الإنسان، وخالق هذا الكون الفسيح وخالق جميع الأشياء الموجودة فيه، قال تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [التغابن: 3]، وقال سبحانه: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ } [الروم: 22].

وقد خلق الله هذه الأرض وما فيها من أجل الإنسان، قال تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [البقرة: 29]، خلقها الله لنا على نحو يتوافق مع طبيعتنا وتكويننا، ويحقق لنا الصلاح، فالأرض والسماء، وإنزال الماء من السماء، والسفن السابحة في البحر،

والأنهار الجارية في جنبات الأرض، والشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار ... كل ذلك مخلوق لنا ولخيرنا ولصلاحنا، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [إبراهيم: 32، 33].

وكل ما يشاهده الإنسان يدل على وجود رب خالق عظيم، فإنك إذا نظرت إلى بناء محكم مكوّن من العديد من الطوابق، فإنه يدل على أن له بانيًا حكيمًا مبدعًا مدبرًا. فإذا نظر الإنسان إلى نفسه أولاً، كما قال تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21]، وجد آثار التدبير فيه قائمة شاهدة للمدبر، دالة على الخالق العظيم، فقد أيقن الناس كلهم أنهم لم يكونوا من قبل شيئًا، ولا كان لهم في الأرض أثر ولا ذكر، فصاروا - وهم لا يشعرون - أنفسًا معروفة مصوّرة مجسّمة، قد اجتمعت فيها جوارح وأعضاء بمقدار حاجتهم إليها.

ثم إن الخلق جميعًا على صنفين: ذكور وإناث، والناس كلهم على نوعين: رجال ونساء، وإن جوارح كل أحد على مثال غيره، وصورة كل واحد تختلف عن صورة غيره، لا يقدر على ذلك إلا الله، فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: 12 - 14]، وقال عز وجل: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [السجدة: 6 - 9]، وقال سبحانه: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 78]، وقال عز وجل: {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الملك: 23]، وقال تعالى: {أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [البلد: 8، 9].

ثم إذا نظر الإنسان فوقه وجد سماءً قائمة في الهواء بغير عمد، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [الرعد: 2]، وراها مُزَيَّنَةٌ بنجوم زاهرات جاريات، لها مطالع معلومة، وهي علامات للسفر يهتدون بها في البر والبحر، قال عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: 97].

ووجد الشمس تطلع أول كل نهار من مشرقها، وتغيب آخره في مغربها، تُنير فتستضيء بضوئها الدنيا، والقمر يضيء بالليل يعرفون به عدد الشهور والأعوام، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس: 5].

ورأى النهار واضحًا جليًا مضيئًا، هو للناس معاش يتصرفون فيه لأموالهم، ورأى الليل مظلمًا فهو لهم سكن يريحون فيه أبدانهم بنومهم، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [غافر: 61]، وقال عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} [الفرقان: 47].

ووجد الأرض ممهّدة ممدودة للسير عليها وللإقامة فيها، تُنبت للناس أنواعًا كثيرة من الثمار والحبوب والفواكه التي يأكلونها، وتحملهم على ظهرها ما عاشوا، ويُدفنون فيها إذا ما ماتوا.

ووجد فيها جبالًا هي أوتاد للأرض لتستقر، ولا تميد بهم، ولتُخرج لهم الجواهر والأموال، ولينحتوا منها البيوت، ويرعوا فيها الأنعام، ويقدحوا منها النار التي فيها دفؤهم، وبها تصلح أغذيتهم، وتطيب أطعمتهم.

ورأى خلالها أنهارًا فيها ماء فيه حياة كل شيء، ومنه أصل كل شيء، يرويه من العطش، ويُنقيهم من الدنس، ويُطهرهم عن النجس، وبحورًا تجري السفن فيها، تحملهم إلى المكان البعيد، ويأكلون منها اللحم الطري، ويُستخرج لهم منها الحلي والطيب.

قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ اثْنَيْنِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} * وفي الأرض قطعٌ

مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَجِيلٍ صِنَوَانٍ وَعَيْرٍ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضَلٍ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { [الرعد: 3، 4]، وقال
سبحانه: { وَهُوَ الَّذِي سَحَّرَ الْبَحْرَ لِيَتَّكِلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ { [النحل: 14، 15]، وقال عز وجل: { خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ بِعَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ { [لقمان: 10، 11]، وقال تعالى: { الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَبُكًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ
شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ
وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى { [طه: 53 - 55].

وشاهدَ عجيب خلق سائر الأمم والحيوان، وما هُديت لما قُدِّر لها من الأرزاق، ثم غير
ذلك مما في السماوات السبع، وفي الجو بين السماء والأرض، وفي البراري، والبحار،
والسهول، والجبال، من العجائب التي لا يبلغها وصف واصف، ولا يدركها علم عالم، وكلها
ينبئ أنها مخلوقة مصنوعة مدبّرة بتدبير حكيم عليم سميع بصير واحد أحد، عَلم ما يكون قبل
أن يكوّنهُ، وعرف لكل شيء ما يصلحه، وسهل عليه كل شيء شاءه، لم يعجزه شيء عن
شيء، ولا منعه شيء عن شيء، فخلق الأشياء كلها كما شاء، وقدرها كما أراد.

فسبحان الذي أوضح دلالاته للمتفكرين، وأبدى شواهدة للناظرين، وبين آياته
للعاقلين، وقطع عذر المعاندين، وأدحض حجج الجاحدين، وأعمى أبصار الغافلين، وتبارك
الله أحسن الخالقين، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.

وهذا يقود الإنسان إلى أن يوقن ويعتقد اعتقادًا جازمًا أن الله سبحانه رب كل شيء
ومالِكه وخالقه، ومدبّر أمره ورازقه، وأنه وحده الذي ينفع ويضر، ويحيي ويميت، وأنه سبحانه
وحده المتصرف في هذا الكون، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا
معطي لما منع، بيده الخير، وإليه تُرجع الأمور، وهو على كل شيء قدير.

رابعًا: أسماء الله وصفاته:

إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد في الدنيا والآخرة، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، والتفقه في معانيها، وكلما ازداد العبد معرفةً بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه. وهذا شرح مختصر لمعاني بعض أسماء الله الحسنى:

الرب: قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة: 2]، وقال سبحانه: { قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } [الأنعام: 164].

فهو المربّي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة، في مثل قول آدم وحواء عليهما السلام: { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: 23]، وقول موسى عليه السلام: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } [الأعراف: 151].

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يُعبد لأجلها، وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها، والفضل كله، والإحسان كله، وأنه لا يشاركه أحد في معنى من معاني الربوبية، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعاً عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم ندّاً ولا شريكاً لله في عبادته وألوهيته، فربوبيته سبحانه يرّبّي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم خلقاً ورزقاً وتديراً وإحياءً وإماتةً.

وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيعبدونه ولا يتخذون من دونه وليّاً ولا شفيعاً، فالإلهية حق له سبحانه على عباده بصفة ربوبيته.

الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

الملك، المالك: قال تعالى: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: 4]، وقال سبحانه: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 26]، وقال عز وجل: { وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ { [الإسراء: 111]، وقال سبحانه: { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون: 116].

هو الموصوف بصفة الملك، الذي له مُلك جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك له، ومضطرون إليه، له ملك الدنيا والآخرة، وله التصرف المطلق فيهما.

الواحد، الأحد: قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [ص: 65]، وقال سبحانه: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [غافر: 16]، وقال عز وجل: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص: 1].

هو المنفرد بالوحدانية في ذاته، والمتفرد بصفاته العليا التي لا يشركه فيها أحد، والمتوحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك. ويجب على العبيد توحيده قولاً وعملاً بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفردّه بالوحدانية، وأن يُفردوه دون سواه بجميع أنواع العبادة.

الصمد: قال تعالى: { اللَّهُ الصَّمَدُ } [الإخلاص: 2].

هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وضرورتها وأحوالها، لما له من الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

العليم، الخبير: قال تعالى: { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة: 29]، وقال سبحانه: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ } [سبأ: 1، 2]، وقال عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان: 34].

هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، ولا يخلو من علمه مكان.

الحكيم: قال تعالى عن الملائكة: { قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 32]، وقال سبحانه: { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } [الزمر: 1].

الحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

والحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه، فلا يخلق شيئاً عبثاً، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، وربّها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة: 7]، وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: 50].

وله الحكمة العليا في شرعه، فلا يشرع شيئاً سدى، وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخبره تملأ القلوب علماً ويقيناً وإيماناً، وتستقيم بها القلوب، وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح. وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا؛ فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مضرته خالصة أو راجحة، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: 50]

وهو الذي له الحكم النافذ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 70].

الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الرؤوف، الوهاب: قال تعالى: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الفاتحة: 3]، وقال سبحانه: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: 28]، وقال عز وجل: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: 40]، وقال جل جلاله: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: 143]، وقال تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه وعطاياه، التي عمّ بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: 43]. والنعم والإحسان وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته، وجوده، وكرمه.

السميع: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الحجرات: 1]، وقال سبحانه: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: 1].

هو الذي يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تعدد الحاجات، لا تختلط عليه الأصوات، القريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء، قال تعالى: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد: 10].
البصير: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 110]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} [فاطر: 31].

هو الذي يُبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيُبصر ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويُبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يُبصر ما فوق السموات السبع.

الحميد: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15]، وقال سبحانه: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [البقرة: 267].

هو الحمود على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة.
كما أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمده في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الحجيد، الكبير، العظيم: قال سبحانه: {رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} [هود: 73]، وقال تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23]، وقال عز وجل: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 74].

هو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى.
وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه.

العفو، الغفور، الغفار: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ} [الحج: 60]، وقال سبحانه: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [ص: 66].

هو الذي لم يزل، ولا يزال بالعمو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعمو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: {وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ} [طه: 82].

التواب: قال تعالى: {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: 37].

هو الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المستغفرين، فكل من تاب إليه توبة نصوحاً تاب عليه، فهو التائب على التائبين أولاً بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولاً لها، وعتوفاً عن خطاياهم.

القدوس، السلام: قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ} [الحشر: 23].

هو المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وعن أن يماثله أحد من الخلق، فهو المنزه عن جميع العيوب، والمنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال، قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]، وقال سبحانه: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 4].

فالقدوس والسلام ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله.

العلي الأعلى: قال تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255]، وقال سبحانه: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1].

هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى.

العزير، القوي، المتين: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [هود: 66]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 58].

هو الذي له العزة كلها، والقوة كلها، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخلائق وخضعت لعظمته.

الخلاق، الخالق، الباري، المصور: قال سبحانه: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس: 81]، وقال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} [الحشر: 24].

هو الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوّأها بحكمته، وأنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

القدير: قال تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: 54]، وقال سبحانه: {وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ} [المتحنة: 7]، وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 20].

هو كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّأها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: «كن» فيكون، وبقدرته يُقلّب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد.

اللطيف: قال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]، وقال سبحانه: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: 100].

هو الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم من طرق لا يشعرون بها بلطفه وإحسانه.

القاهر، القهار: قال تعالى: {وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 18]، وقال سبحانه: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [ص: 65].

هو الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

الودود: قال تعالى: {وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج: 14].

هو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه وُذًا وإخلاصًا وإناابة من جميع الوجوه.

الفتاح: قال تعالى: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ: 26].

هو الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلفظه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفة ومحبته والإناابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر: 2].

الرزاق، المقيت: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 58]، وقال سبحانه: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} [النساء: 85].

هو الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تُطلب، وإليه يُرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

الحي، القيوم: قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]، وقال سبحانه: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: 58].

هو كامل الحياة، والقائم بنفسه، القيوم لأهل السماوات والأرض، القائم بتدبير أمورهم، وبأرزاقهم، وجميع أحوالهم.

الشهيد: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج: 17].

هو المطلع على جميع الأشياء؛ سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

الغني: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: 15]، {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} [محمد: 38].

هو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات؛ لكمالته وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا، لأن غناه من لوازم ذاته، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنيًا عامًا، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

الحليم: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ} [البقرة: 235].

هو الذي يَدُرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، ويحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويمهلهم كي يتوبوا.

الشاكر، الشكور: قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: 147]، وقال سبحانه: {وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ شَكُورٌ} [الشورى: 23].

هو الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة، تقرب الله منه أكثر.

القريب، المحيب: قال تعالى: {فَاسْتَعْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} [هود:

[61

هو القريب من كل أحد، وقربه تعالى نوعان:

قرب عام من كل أحد، بعلمه، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته.

وقرب خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لا تُدرك له حقيقة، وإنما تُعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقيه وتسديده.

ومن آثار هذا القرب: الإجابة للداعين، فهو المحيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المحيب إجابة خاصة لعباده المؤمنين المخلصين، وهو المحيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجائهم من المخلوقين، وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا.

الحق: قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحج: 6].

هو الحق في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً.

فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء يُنسب إليه فهو حق {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: 62].

دعاء الله بأسمائه الحسنى:

إذا علمت هذا القدر من أسماء الله الحسنى فينبغي عليك أن تدعوه بها، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180]، والدعاء بها مرتبتان:

الأولى: دعاء ثناء وعبادة.

والثانية: دعاء طلب ومسألة.

فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسئل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني؛ بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، وهذا يكون في كل طلب بما يناسبه، إذا كنت تطلب المغفرة فتدعوه باسمه الغفار والغفور، وإذا كنت تطلب الرحمة فادعه باسمه الرحيم والرحمن، وإذا كنت تطلب الرزق فادعه باسمه الرزاق والكريم، وهكذا في كل شيء تدعو بالاسم الذي يناسبه، وهذا معنى دعائه بها.

خامساً: توحيد الله واستحقاقه وحده للعبادة:

النظر والتفكر في هذا الكون الفسيح، والإقرار بأن الله عز وجل هو خالقه ومالكة ومدبره، والإقرار بأن أي إنسان أو مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً، ولا عطاء ولا منعاً، ولا هدى ولا ضلالاً، ولا نصراً ولا خذلاناً، ولا خفضاً ولا رفعاً، ولا عزاً ولا ذلاً، بل الله تعالى هو الذى خلق الإنسان ورزقه، وبصره وهداه، وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، وأما المخلوق فلا ينفعه ولا يضره إلا بإذن الله.

فإذا أقر الإنسان بذلك، ثم عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وجَّهه ذلك إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فالله وحده هو الخالق المدبر المقيم للسموات والأرض الرازق المحيي المميت؛ لذلك فهو المستحق للعبادة دون سواه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 21، 22]، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } [فاطر: 3].

ففي هذه الآيات يذكر الله خلقه بالآيات الكونية وتصريفه الأمور وتدييره الشؤون، ثم يُعقِّب على ذلك بتقريرهم بعبادة الله وحده، أي: أن من خلق هذا الكون ودبر أموره هو الذي يستحق العبادة دون سواه.

استمع إلى هذه الآيات وتأمل التعقيب عليها: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّافُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } [الزمر: 5-6].

وبهذا الطريق أثبت القرآن بطلان الآلهة المدعاة وعدم استحقاقها شيئاً من العبادة، يقول تعالى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [لقمان: 10، 11].

إن الباعث الرئيس للعبادة هو استحقاق الله تعالى لذلك، فنحن نعبد الله جل وعلا؛ لأنه مستحق للعبادة، تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق الإنس والجن، كما قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: 56]، فهو المستحق الوحيد للعبادة لعموم سلطانه على الكون وعظيم فضله على الخلق أجمعين.

ومع ذلك يجب أن نعلم أن الله تعالى غني عن العالمين، فالعبادة لا تزيده ولا تنقصه مثقال ذرة؛ لأنه غني بذاته غني مطلقاً، فلا يحتاج إلى شيء مما في الوجود، بل كل ما في الوجود محتاج إليه، قال الله تعالى: { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ حَمِيدٌ } [إبراهيم: 8]، وقال عز وجل: { إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } [الزمر: 7]، وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } [فاطر: 15 - 17].

وعليه فإن ثمة العبادة إنما ترجع إلى الشخص العابد نفسه؛ إذ هو المحتاج إلى الله تعالى والمفتقر إليه، كما قال تعالى: { مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [الإسراء: 15].

والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، والتوكل عليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله.

وليس لأحد من الناس أن يعبد إلا الله وحده، فلا يصلي إلا لله، ولا يصوم إلا لله، ولا يحج إلا بيت الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يرغب إلا إلى الله، ولا

يخاف إلا الله، ولا يندر إلا الله، ولا يذبح إلا الله، ولا يحلف إلا بالله {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَيْمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 161 - 164].

سادسًا: ثمرات الإيمان بالله تعالى:

إذا علم الإنسان أن الله هو ربه ورب كل شيء وخالقه ومدبره، وأنه سبحانه وحده المتصرف في جميع أمور هذا الكون، وآمن بما لله من أسماء حسنى وصفات عليا، ثم علم أنه عز وجل وحده هو المستحق للعبادة دون ما سواه، فعبد الله تعالى ولم يشرك به شيئًا؛ أثمر ذلك عنده ثمرات جليلة، وفوائد جمّة، وفضائل كثيرة، منها:

1- يُثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره، واجتناب نهيه، وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة.

2- أن الإيمان بالله يُنشئ في نفس العبد الأنفة والعزة والعفة؛ لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو، وهذا العلم يُغنيه عن غير الله، وينزع من قلبه الخوف ممن سواه، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف سواه، قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 139].

3- أن الإيمان بالله يُنشئ في نفسه التواضع؛ لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، فلا يغره الشيطان، ولا يبطر ولا يتكبر، ولا يزهو بقوته وماله.

4- أن الإيمان بالله يُرَبِّي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والشجاعة والإقدام والصبر والثبات حينما يضطلع بمعالي الأمور في الدنيا ابتغاء مرضاة الله، ويكون على يقين تام أنه متوكل على ملك السماوات والأرض، وأنه يؤيده ويأخذ بيده، فيكون راسحًا رسوخ الجبال في صبره وثباته وتوكله.

5- حصول الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والبرزخ والآخرة، قال الله عز وجل: {الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: 82].

6- الاستخلاف في الأرض والنصر والتمكين والعزة، قال عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَيْمَكُنَّ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ { [النور: 55].

7- الحياة الطيبة؛ فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: 97].

8- حلول الخيرات ونزول البركات، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 96].

9- الفوز بولاية الله عز وجل وتأييده ونصره ودفاعه عنهم، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد: 11]، وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: 38].

10- تكفير السيئات وإصلاح البال -البال: هو الشأن والحال- قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} [محمد: 2].

11- دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج: 14].

هذا شيء من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله من ثمرات الإيمان، ومرتب عليه، والهلاك والخسران إنما يكون بفقد الإيمان أو نقصانه.

سابعًا: أهمية الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، أصل من أصول الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة: 177]، وقال سبحانه: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136]، وفي حديث جبريل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر» (رواه البخاري: 4777، ومسلم: 9، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

ثامنًا: التعريف باليوم الآخر:

هو في الجملة: الإيمان بالبعث بعد الموت، وبرجوع الناس إلى ربهم، لمجازاتهم يوم القيامة. ويتبعه الإيمان التفصيلي، وهو: الإيمان بكل ما يجري في ذلك اليوم، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وتفصيل المحشر، ونشر الصحف، ونصب الموازين، وبالصرات والحوض والشفاعة والجنة والنار، وكل هذا غيب أخفاه الله تعالى عنا.

تاسعًا: أدلة البعث:

أنكر طوائف من الكفار البعث بعد الموت، وقد رد عليهم القرآن الكريم، وأثبت البعث بأدلة كثيرة، لا يستطيع أحد إنكارها إلا من جحد وكابر، ومن هذه الأدلة:

أولًا: الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

فقد استدلل القرآن على الخلق الثاني - وهو البعث بعد الموت - بالخلق الأول، فنحن نشاهد في كل يوم حياة جديدة تُخلق: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسماك تملأ البحار والأنهار، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، فكيف ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يبيد الله هذه الحياة؟!!

إن الذين يطلبون دليلاً على البعث بعد الموت يغفلون عن أن خَلَقَهُمْ على هذا النحو أعظم دليل، فالذي قَدَّرَ على خلقهم، قادر على إعادة خلقهم، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وتذكير العباد المستبعدين لذلك بهذه الحقيقة،

قال تعالى: { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا } [مریم: 66، 67].

وقال عز وجل: { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } [يس: 78، 79].

وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } [الحج: 5].

ثانياً: القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه:

معلوم عند كل العقلاء أن من استطاع أن يبني قصرًا لا يعجزه بناء بيت صغير. والله المثل الأعلى، فإن من جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس، فكيف يقال للذي خلق السماوات والأرض: أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها؟!

قال تعالى: { وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَلَا نَحْنُ بِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا } [الإسراء: 98، 99]

وقال سبحانه: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ يَحْيِي بَخْلِقَهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الأحقاف: 33].

وقال عز وجل: { الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [غافر: 57].

ثالثاً: ضرب المثل بإحياء الأرض بالنبات:

ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات؛ فهذه الحبة الميتة تُدفن في أرض ميتة، وليس لهذه الحبة ورق ولا غصن ولا ثمر ولا لون ولا ريح ولا طعم ولا حركة، فيمكثها الله في التراب مدة معلومة، ثم يحييها فيخرجها من مدفنها متحركة بعد ما لم يكن لها حركة، وتخرج من التراب مع غصن وورق ولون وريح وطعم، ولم يكن لها شيء من ذلك حين دُفنت في التراب، فكذلك الإنسان حين يُدفن في

التراب، وليس له حركة ولا روح ولا سمع ولا بصر، هو كالحبة الميتة، ثم يخرج من الأرض مع روح وحركة وسمع وبصر.

قال تعالى: { وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } [الحج: 5، 6، 7].

وقال سبحانه: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصلت: 39].
رابعاً: قدرته تبارك وتعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال:

الذين يكذبون بالبعث يرون هلاك العباد، ثم فناءهم في التراب، فيظنون أن إعادتهم بعد ذلك مستحيلة، قال تعالى عنهم: { وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [السجدة: 10، 11]. والمراد بالضلال في الأرض: تحلل أجسادهم، ثم اختلاطها بتراب الأرض.

وقد بين الحق تبارك وتعالى في أكثر من موضع أن تمام ألوهيته وربوبيته قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يميت ويحيي، ويخلق ويُفني، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَلَىٰ تُؤْفَكُونَ } [الأنعام: 95].

من الحبة الجامدة الصماء يُخرج الله نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر، ثم تُعطي هذه النبتة الحية حبوباً جامدة ميتة، ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت تخرج الطيور المتحركة المغرودة التي تنطلق في أنحاء الفضاء.

إن تقلب العباد: موت فحياة، ثم حياة فموت، دليل عظيم على قدرة الله، تجعل النفوس تخضع لعظمته وسلطانه، قال تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: 28].

خامساً: حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب:

تقتضي حكمة الله وعدله أن يبعث الله عباده ليجزيهم بما قدموا، فالله خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، أفيليق بعد ذلك أن يموت الصالح والفاقد ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، قال تعالى: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } [القلم: 35، 36].

إن الكفرة الضالين هم الذين يظنون أن الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح والكافر المفسد، ولا بين مصير التقي والفاجر، قال تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص: 27، 28].

عاشراً: ما يشتمل عليه هذا اليوم من وقائع وأحداث:

يشتمل هذا اليوم العظيم على وقائع وأحداث عظيمة، ثبتت في الكتاب والسنة، يجب على المسلم أن يؤمن بها.

فنؤمن بالبعث، وهو: إحياء الله تعالى الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية: { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } [الزمر: 68]، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين خُفَاءً بلا نعال، عُرَاءً بلا ثياب، عُزْلًا بلا ختان: { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء: 104].

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، يشفع عند الله تعالى بإذنه يوم القيامة ليقضي بين عباده حين يصيبهم من الهم والكرب ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام، فكلهم يقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، حتى تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفع لأهل الموقف أجمعين.

ونؤمن بصحائف الأعمال تُعطى باليمين أو من وراء الظهور بالشمال: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا } [الانشقاق: 7 - 12]، { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: 13، 14].

ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئًا: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة: 7، 8]، { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: 8، 9].

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين ليخرجوا منها، وهي للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة، وبأن الله تعالى يُخرج من النار أقوامًا من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته.

ونؤمن بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، وأنيته كنجوم السماء حُسْنًا وكثرة، يَرِدُه المؤمنون من أمته، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك أبدًا.

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كجري أسرع الخيل، حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول: «يا رب سَلِّمْ سَلِّمْ»، وفي حافتي الصراط كلاليب وخطاطيف معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت بأخذه من العصاة، فالناس بالنسبة للصراط على ثلاثة أصناف: ناجٍ مُسَلِّمٌ لا تمسه النار، ومن تصيبه النار ثم ينجو، وساقط في النار.

ونؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة أن يدخلوها، وهي للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة.

ونؤمن بالجنة والنار، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أُذُن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17].

والنار دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 29].

وهما موجودتان الآن، ولن تفنيا أبد الآبدين: {وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} [الطلاق: 11]، {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: 64، 65].

فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمر الدنيا لظهور الفرق الكبير بينها. والله المستعان.

حادي عشر: الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر:

إن الحياة بكل ألوانها وصورها مصدرها واحد: هو الحي سبحانه، فهو الحي بذاته سبحانه، المحيي لغيره، ولا حياة لأحد سواه إلا بأمره.

وقد وصف الله جل جلاله الحياة في القرآن الكريم بصفتين متضادتين: الأولى هي الدنيا، وهي الفانية، والثانية هي الآخرة، وهي الباقية، قال تعالى: {أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: 38]، وقال سبحانه: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى: 16، 17]

فالحياة إذن طبقتان: الأولى الفانية، تنتمي إلى عالم الشهادة، وهي حياتنا هذه التي نحيا بها، والثانية الباقية، تنتمي إلى عالم الغيب، وهي الحياة الآخرة.

فالحياتان جميعاً مصدرهما الله سبحانه، وهذا من مقتضى التوحيد، فمنشأ الحياة منه، ورجوعها إليه: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ {
[يونس: 4]، {إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ} [العلق: 8].

ولذا كثر في القرآن الكريم والسنة المطهرة الجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر، في مثل
قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: 126]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]، وقوله: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ} [التوبة: 18]، وقوله: {لَا تَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: 22].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو
ليصمت» (رواه البخاري: 6018، ومسلم: 47، من حديث أبي هريرة).
وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» (رواه
مسلم: 76، من حديث أبي هريرة).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يُرحح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» (رواه مسلم:
1844).

وهذا يدل على الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنهما محفزان للمرء على
فعل الخيرات وعلى ترك المنكرات.

كما أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بأسماء الله وصفاته مثل علم الله وقدرته
وحكمته وعدله، وإنكار البعث يتضمن تعظيلاً لأسماء الله وصفاته ومقتضاها، وإنكاراً لعلم
الله تعالى وقدرته وحكمته وعدله.

ثاني عشر: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

إذا علم الإنسان أن هناك يومًا يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويحاسبهم بما عملوه،
فإما إلى جنة وإما إلى نار؛ أثمر ذلك عنده ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة، منها:

1- الحرص على فعل الطاعة، وترك المعصية: فبمقتضى الإيمان باليوم الآخر يتجه المرء نحو العمل الصالح، أملًا في نيل رضا الله تعالى، ورغبة في ثواب ذلك اليوم، ويتعد عن معصيته خوفًا من سخط الله وعقاب ذلك اليوم.

2- الزهد في الدنيا، وتسلية المؤمن عمدًا يفوته من نعيمها: لا شيء يرفع الإنسان من إخلاده إلى الأرض - بعد الإيمان بالله - إلا الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بأن كل متاع زائد يتنازل عنه الإنسان في الحياة الدنيا - طاعةً لله والتزامًا بأمره - يعوّض عنه في الآخرة متاعًا أعلى وأخلد وأبقى {أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: 38]، والإيمان في ذات الوقت بأن كل خروج على أمر الله في الحياة الدنيا من أجل متاع الأرض الزائل سيجازى عليه في الآخرة عذابًا أليمًا.

كما أن الإيمان باليوم الآخر فيه تسلية للمؤمن عمدًا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها، فعن المستورد الفهري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليم، فلينظر بم ترجع؟» (رواه مسلم: 2858).

3- الصبر على الأذى، والمصائب، واحتساب الأجر: فإن العبد إذا آمن باليوم الآخر دفعه ذلك إلى الصبر على ما يصيبه من الأذى والابتلاءات المتنوعة؛ لأنه يعلم أن الله سيعطيه الثواب الجزيل في الآخرة، قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت صفيته من أهل الدنيا، ثم احتسبه، إلا الجنة» (رواه البخاري: 6424). صفيته أي: حبيبه من ولد وأخ وغيره).

4- تماسك المجتمع واستقراره: الإيمان بالبعث بعد الموت يحفظ للمجتمع استقراره، فلو لم يكن هناك بعث ولا حساب ولا عقاب، لما كان هناك ما يدعو إلى المحافظة على قيم المجتمع وأخلاقياته، ولما كان هناك داع إلى أداء الواجبات واجتناب المحرمات وغير ذلك.

فالإيمان باليوم الآخر وما يتبعه من أحداث يثبّت النظام في الدولة، ويهدّب السلوك
الإنساني، ويقوّم الأفعال الشاذة، فالمؤمن به لا يحتاج إلى قوة - كالشرطة- تدفعه إلى المحافظة
على القانون؛ لأن الإيمان باليوم الآخر يدفعه إلى التزام الحق وتحري العدل.
هذا وبالله التوفيق، وصلّى اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.